AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

Jurnal Afaq Lughawiyyah
Universiti Sultan Zainal Abidin
مجلة آفاق لغوية - جامعة السلطان زين العابدين

التناص مع الأمثال الشعبية في روايتي "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" لنجيب محفوظ

[INTERTEXTUALITY IN FOLK PROVERBS IN NAJIB MAHFUZ'S NOVELS "AL-QAHIRAH AL-JADIDAH" AND "HADRAH AL-MUHTARAM"]

Mohd Azizul Rahman Zabidin[1], Ebrahim Mohammad Ahmad Eldesoky[2] & Lubna Abd. Rahman[3]

[1,2] Arabic Language Department, Kulliyyah of Theology, Quranic Sciences and Arabic Language (KUBRA), Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah (UniSHAMS), Malaysia

[3] Faculty of Major Language Studies, Universiti Sains Islam Malaysia (USIM), Malaysia

Corresponding Author: *azizul@unishams.edu.my*

Received: 11/1/2024	*Accepted: 12/2/2024*	*Published: 31/3/2024*

ملخص

يتناول هذا البحث موضوع التناص مع الأمثال الشعبية في روايتي "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" لنجيب محفوظ. وللأمثال العربية بشكل عام، خاصة إذا كانت متضمنة في عمل أدبي، أهمية كبرى في توجيه الأفراد نحو الأهداف التي يسعى الأديب إلى تحقيقها في أو إيصالها إلى قرائه، وتحفز الأمثال الشعبية المتلقي على التغيير والتحسين. كما تساعد بشكل قوي على بناء الذات وتساعد في بناء الثقة والاعتزاز بالنفس، فالأمثال الشعبية تنقل إلى القارئ في عبارات قصيرة خبرات طويلة بها يصبح قادر على التغلب على كثير من التحديات التي تواجهه في حياته فينجح فيها نجاحا لم يكن ليتيسر له في حال فقده لهذه الثقافة العربية التي تمثل جزءا هاما في تاريخه ومستقبله، وبها يصبح أكثر استعداداً لاتخاذ القرارات الصحيحة. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلى دراسة نماذج التناص مع الأمثال الشعبية التي تتضمنها روايتا "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" وبيان كيفية توظيف الأستاذ نجيب محفوظ هذه النماذج ليجعل من روايتيه عملا أدبياً رائعاً، وليظهر من خلال ذلك دور الأديب الكبير في المجال الروائي، ومقدرته في الأخذ من نصوص أخرى اجتراراً، أو امتصاصاً أو تحويراً. وقد اتّبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب والأمثل لإنجاز هذا البحث باعتباره أكثر المناهج استخداماً في العلوم

الاجتماعية والإنسانية. هذا، وقد توصّل البحث إلى عدد من النتائج أهمها: أن للتناص مع الأمثال الشعبية مساحة واسعة في روايتي "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" حيث أظهر نجيب محفوظ مقدرته على حسن التعامل مع ظاهرة التناص في هاتين الروايتين، وقد شارك هذا في تعميق فكرته وبلورة رؤيته في قضية ما، أو ما يراه منسجماً مع البناء الفني أو الأسلوبي في روايتيه.

الكلمات المفتاحية: التناص، الأمثال الشعبية، نجيب محفوظ، القاهرة الجديدة، حضرة المحترم

Abstract

This research examines the phenomenon of intertextuality with folk proverbs in Najib Mahfuz's novels "Cairo Modern" and "Respected Sir". Folk proverbs, especially when embedded within literary works, hold significant importance in directing individuals towards the goals sought by the author or in conveying them to readers, thereby motivating recipients to pursue change and improvement. They strongly aid in self-construction, fostering self-confidence and self-esteem, as folk proverbs encapsulate long experiences in concise expressions, enabling readers to overcome various life challenges more effectively. Access to this Arab cultural heritage becomes crucial in shaping one's history and future, enhancing readiness to make informed decisions. From this perspective, this research aims to analyze instances of intertextuality with folk proverbs in the mentioned novels, elucidating how Najib Mahfuz employs these instances to craft remarkable literary works, showcasing the significant role of the renowned author in the literary field and his adeptness in borrowing, assimilating, or modifying texts. The research adopts a descriptive-analytical methodology, deemed most suitable and prevalent in social and human sciences. Findings reveal that intertextuality with folk proverbs has a significant presence in the novel al-Qahira al-Jadidah and Hadrah al-Muhtaram showcasing Najib Mahfuz's adeptness in handling this phenomenon. The research asserts that the novelist does not evoke these proverbs merely for embellishment, decor, or a display of poetic capabilities. Instead, he employs them purposefully to deepen his ideas and crystallize his vision on specific issues, seamlessly aligning with the artistic and stylistic structure of his novels.

***Keywords**: intertextuality, folk proverbs, Najib Mahfuz, al-Qahirah al-Jadidah, Hadrah al-Muhtaram*

مقدمة

يُعَدُّ "التناص" مفهوماً نقدياً مركزياً، وهو آلية من الآليات الإبداعية الحديثة، طُرِحَتْ على نُقَّاد عصر الحداثة. ويشير التناص إلى حقيقة مفادها أن كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى (Angenot, 2013). والتناص أو ما يعرف بـ"تداخل النصوص"، هو ذلك المصطلح الشائع في النقد الحديث والذي يشير إلى علاقات متبادَلة بين نص معيّن ونصوص أخرى. ومعنى ذلك كله أن النص ما هو إلا حصيلة تفاعل نصوص سابقة، تحاورت وتداخلت ثم تفاعلت في بنية نصية جديدة (Dakhia, 2022).

فقد أشارت الدراسات المتعلقة بهذا الشأن إلى أن التناص أداة نقديّة مهمّة يعتمد عليها الكُتَّاب والقرّاء على حدّ سواء لتحليل النصوص الأدبيّة وفهمها (Abed, 2022). فلا يُعَدُّ التناص

استرجاعاً للمخزون الثقافي فَحَسْبَ، أو استعادة للذاكرة الثقافية، أو تداخلا للنصوص في العمل الأدبي دون فلسفة أو هدف، وإنما هو عملية مقصودة لأهداف، أهمها تحقيق العملية الأدبية والتواصل الناجح بين المبدع والقارئ (Mohammed, 2009). ويعني هذا أن توظيف التناص في النصوص يدل على مدى ثقافة الكاتب واطلاعه على النصوص السابقة، حيث يعمد الكاتب إلى تضمينها في نصوصه بشكل واع أو غير واع لكي يخدم فكرة نصه (Karim Eldin, 2022). ويضاف إلى ذلك أن الكتابة الإبداعية في حاجة ماسة إلى الحيوية الأدبية من آلية تداخل النصوص واختلاطها المعروفة بـ"التناص" باعتبارها أداة مهمة وعملية لكلٍّ من صانعي النص والقراء (Zabidin & Eldesoky, 2023). من أجل هذا كله وغيره، عُدَّت قضية التناص في النقد الحديث ضرورة لا غنى عنها في قراءة النصوص، وهذا مردّه كما ذكرنا أن عملية التناص، هي واحدة من أهم الآليات التي نستطيع من خلالها تأويل النصوص وتفسيرها.

وفي هذا السياق، يُعَدُّ استخدام الأمثال الشعبية في الأدب من أهم التقنيات التي يمكن استخدامها للتعبير عن مضامين وقيم مختلفة. وبالنظر إلى روايات نجيب محفوظ، تبرز أعماله "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" كمثال ممتاز على توظيف التناص مع الأمثال الشعبية بهدف جعل العمل الروائي أكثر غنى وعمقًا.

وانطلاقًا مما سلف، يحاول هذا البحث استكشاف بعض المظاهر التناصية ممثّلة في الأمثال الشعبية التي وُظِّفَتْ داخل روايتي "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" لنجيب محفوظ قصدَ إبراز خبايا المعاني والدلالات التي حملتها هذه الأمثال في هاتين الروايتين المدروستين، وكيفية توظيفها لتحقيق أهداف روائية وفنية معينة.

منهج البحث

وقد اتّبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، فقام بوصف ظاهرة التناص وصفاً دقيقاً بشكل عام، أما من حيث التحليل والتطبيق فإنه يركّز على الإشارة إلى نماذج التناص مع الأمثال الشعبية ثم دراسة وظيفته الموضوعيّة والفنيّة وبلورة دواعي استخدامه ومسوّغات الاستشهاد به لدى المؤلف أو إحدى شخصياته وبالتالي ربط هذا التناص مع السياق الروائي الذي يرد فيه من أجل اكتمال الحدث الروائي.

المبحث الأول: أهمية التناص

وقد اهتمّ العرب بالأمثال وقدّروا أهميتها، فأخرجوها في أجمل حلة من الألفاظ، فهي في نظرهم: "من أجلِّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم،

مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها" (al- ʻAskari, 1988). والـمثَل: هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مِثله (Lakhdar, 2016).

وبين المثل والحكمة أوجه شبه كثيرة حيث يرى أبو هلال العسكري أن كل حكمة سائرة تسمى مثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاه (al- ʿAskari, 1988)، أي أن المثل هو الحكمة التي سارت على ألسن الناس، وأصبحوا يرددونها في المواقف المشابهة للموقف الذي قيلت فيه. وإذاً فالحكمة نوعان: نوع يسير ويفشو فيصبح مثلاً، ونوع لا يتهيأ له ذلك فلا يُسَمَّى مثلاً (Lakhdar, 2016).

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأمثال في أية لغة من اللغات هي خلاصة تجارب الشعوب، وقد صُبَّتْ في قالب لفظي موجز، كما أن الأمثال مرآة لثقافة الأمة واتجاهاتها الفكرية ونظرتها إلى الحياة، لذلك نجدها مشحونة بالأفكار والنظرة الصائبة بل والحكمة، فما يكاد يسمعها أهل اللغة أو يقرأونها حتى تتداعى المعاني في أذهانهم، فتغني المتحدث والكاتب عن كثير من الكلمات (Ṣini, 1992).

المبحث الثاني: مفهوم التناص

"التناص" هو مصطلح نقدي حديث له صلة وثيقة بالتراث النقدي القديم. والتناص لغةً مصدر للفعل تناصّ (تناصص بفك الإدغام)، وهو على وزن (تَفَاعَلَ) الدالّ على المشاركة. وعندما نبحث في المعجم عن الكلمة نجد أنها بمعنى الازدحام، فقد جاء في معجم الوسيط "تَنَاصَّ القَوْمُ: ازْدَحَموا" (Mu'jam al-Wasit, 2004).

وقد صيغ المصطلح (تناص) بزيادة ألف وتاء على الأصل (نص)، وكل زيادة في المبنى تعني زيادة في المعنى، وهذه الزيادة تخبرنا عن تناص اثنين أو أكثر، وهو ما يعني "المشابكة" و"التداخل" و"الاتصال"، فكأنه يعني الاستمرارية الزمانية، وهي ما يحققه قولنا تناص النَّصَّان، كما تفيد الزيادة تلك المشاركة المتشابكة بين النصين، وهو معنى ورد في المعاجم العربية كما سبق (al-Ḥaqil, 2018).

ومن المنظور الحداثي، يتّضح المقصود بمصطلح التناص عند جوليا كريستيفا حينما تذكر أن النص "ترحال للنصوص وتداخلٌ نصيّ، ففي فضاء نص معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى" (Kristeva, 1997)، ويظهر كذلك في قولها عن النص إن كل نص هو عبارة عن "لوحة فُسَيْفِسَائِيَّة من الاقتباسات، وكل نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى" (ʻAzzam, 2001).

أما مارك أنجينو فهو يرى التناص بأنه يتمثّل في: "كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى، وبذا يصبح نصا في نص، تناصا، وبذا أيضاً، تنتمي الكلمة إلى الجميع لكونها تؤشر على فكرة مبذولة في كل دراسة ثقافية" (Zuʿbi, 2000).

لا يختلف روبرت دي بوجران كثيراً عن أسلافه في تعريف التناص، حيث يرى أنه: "يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بوساطة أم بغير وساطة" (Beaugrande, 1998).

وقد تناول النقاد العرب "التناص" بالتعريف ولم تكن تلك التعريفات في معظمها إلا ترجمة لتعريفات النقاد الغربيين، بدءاً من كرستيفا وحتى جيـرار جنيت، فكان اختلافهـا في الصياغة فقط. ومنها ما وضعه محمد مفتاح حين عرف التناص متأثراً بتعريف كرستيفا له بقوله: "إنه فسيفساء من نصوص أخـرى، أدمجـت فيه بتقنيات مختلفة، ممتص لها، يجعلهـا من عندياته، وبتصييرهـا منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده، محـولاً لها بتَمْطِيطِها أو تكثيفهـا بقصـد مناقضـة خصائصهـا ودلالتهـا أو بهـدف تعضيدها" (Miftah, 1992).

إن التناص عملية وراثية للنصوص، والنص المتناص يكاد يحمل بعض صفات الأصول ولقد عانى مصطلح التناص في النقد العربي الحديث من التعددية في الصياغة والتشكيل فقد ظهر هذا المصطلح في حقل النقد العربي الحديث بعدة صياغات وترجمات منها "التناص أو التناصية، النصوصية، تداخل النصوص، النصوص المتداخلة، النص الغائب، تضافر النصوص، تفاعل النصوص، التداخل النصي" (Nahim, 2007). وقد حظي هذا المفهوم لتفاعل النصوص باهتمام كبير فيما يُعرف بـ"تداخل النصوص" (Overlapping) أو "تعالق النصوص" أو "توارد النصوص" أو "تفاعلها" أو "الحوار بين النصوص" أو "التناص" (Intertext) أو "النصية" (Textuality) أو "التراث" (Heritage) أو "النص الغائب" (Mohammed, 2009).

فالتناص، بناءً على ما سبق، خروج من النص إلى نصوص أخرى غائبة يجب استحضارها ليكتمل النص الحاضر. ويعني هذا أن النص غير قائم بذاته، وإنما يحتاج إلى ما هو خارجه، وتناص الأفكار أو الثقافات أو اللغات هي جزء من نصوص غائبة لا يستغني عنها النص ولا يقوم أو يكتمل إلا باستحضارها عند الدراسة والتحليل (Zuʿbi, 2000).

ومما تقدّم، يستنتج البحث أن التناص ذوبان نصوص سابقة في نص حاضر، وقد يكون ذلك بوعي أو بغير وعي، في نص جديد، يظهر في تجليات النص الجديد جزءاً لا يتجزأ منه، ويستطيع القارئ بناءً على فهمه المنبثق من معارفه وثقافته ومحفوظاته الكامنة في الوعي واللاوعي أن يدرك هذا التناص أو يجهله.

المبحث الثالث: التعريف بالروايتين موضع التطبيق

وقد ارتأينا أن نقدّم تلخيصاً سريعاً لأحداث الروايتين ليتسنى للقارئ أن يكوِّن إطاراً عاماً لموضوعيهما وفكرتيهما ورؤيتيهما، يعين القارئ على الإلمام بالروايتين بشكل عام. وقد يجعل هذا التلخيص قراءة البحث نفسه أكثر جدوى ووضوحاً في ذهن القارئ.

التعريف برواية "القاهرة الجديدة"

تقدّم رواية "القاهرة الجديدة" حياة المجتمع المصري في الثلاثينيات من القرن الماضي مسلطة الضوء على جوانب مختلفة من حياة المجتمع المصري ومنها الفقر والرشوة، ومصورة لحياة أبناء الطبقة الوسطى بشكل رائع في القاهرة وغير ذلك من القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمع المصري في ظل الاحتلال البريطاني (Zabidin, 2024).

لقد اختار المؤلف من بين طلاب الجامعة أربعة ليمثِّلوا الأفكار والاتجاهات التي تتصارع في المجتمع الحديث. الإيمان بالدين والخلق والفضيلة عن طريقه، والالتجاء إليه طلباً للخلاص. والإيمان بالمجتمع والعدالة الاجتماعية، والصراع العملي لتحقيق الفضيلة الاجتماعية والشخصية من هذا الطريق. والإيمان بالذات، وعبادة المنفعة، وتسخير المبادئ والمثُل والأفكار جميعاً لخدمة هذا الإله الجديد! وموقف المتفرج الذي يرقب هذا وذاك وذلك لمجرد التسجيل والنظر والمشاهدة (Qutb, 1946).

ولعل ما يستلفت النظر أن "نجيب محفوظ" قد حاول في هذه الرواية طرح قضايا اجتماعية ورسم صورة واضحة عن البنية الفكرية للشباب في تلك الفترة التاريخية حيث تدلّ شخصية "محجوب عبد الدايم" على البعد الاجتماعي للقضايا كما أن شخصية "مأمون رضوان" تدل على الاتجاه اليميني وتدل شخصية "على طه" على الاتجاه اليساري وترمز شخصية "أحمد بدير" إلى جماعة من الشباب غير المنتمين إلى أي اتجاه ولا يهتمون بعرض فكرة واضحة تجاه ما يجرى. حيث نرى شخصية أحمد بدير غارقة في خضم الحياة العلمية وتحاول تجنب الخوض في القضايا المتعلقة بالمشاكل الحزبية والسياسية رغم انشغاله بالعمل الصحفي حيث استغل هذه الفرصة لخلق علاقة مع الطبقات الراقية في المجتمع التي تتسبب في سقوط الأشخاص وانحرافهم كما حدث ذلك لمحجوب عبد الدايم" (Turabi & Sayyidi, 2014). ولعل قارئ الرواية يستطيع أن يلمح في ثنايا الرواية أو في خاتمتها ميل المؤلف لأن ينتصر للمبادئ على كل حال، وأن يحقر الإيمان بالذات والتدهور الخلقي والاجتماعي والقذارة والانحلال.

ومما سبق يتّضح أن نجيب محفوظ فنّان ماهر وفي مقدوره أن يعرض الصورة الواقعيّة للمجتمع المصري من خلال روايته المعنونة بـــــ"القاهرة الجديدة". وقد مثَّل محفوظ في هذه الرواية الهويّة المصريّة الثرية بطريقة غير مسبوقة.

التعريف برواية "حضرة المحترم"

نُشرت سلسلة "حضرة المحترم" لأوّل مرة في صحيفة "الأهرام اليومية" في القاهرة ونشرت لاحقاً في شكل كتاب في عام ١٩٧٥م (al-Enany, 1990)، وترجمها رشيد العناني كاتب وناقد وأكاديمي مصري، متخصِّص في الأدب العربي الحديث عام ١٩٨٦م.

ولعل نجيب محفوظ قد أطلق على الرواية هذا العنوان "حضرة المحترم" للتعبير عن شيء من السخرية من موظفي الحكومة في مصر. فقد جرى العرف لدى المصريين على تسمية الموظف الحكومي بمسمى "حضرة المحترم"، وكان من المفروض أن ينال احترام الناس وبخاصة لدى البسطاء بينهم بسبب عمله في الحكومة، ومع ذلك كله ينقلب الوضع رأسا على عَقِبٍ حيث اختلفت حال بطل الرواية في هذه الرواية، وكأن نجيب محفوظ يرغب في أن يظهر للناس أن هذا هو "حضرة المحترم" الموظف الحكومي بحياته البائسة (Zabidin, 2024).

ومما يسترعي الانتباه في هذه الجولة السريعة حول رواية حضرة المحترم أن نجيب محفوظ يحاول بها وصف النظام الوظيفي الحكومي في مصر. كل هذا يؤدي بنا إلى القول إن الرواية ذاتها ألقت الضوء على حقيقة حياة الموظفين في مصر فيما يخص طموحات بعضهم للوصول إلى المناصب المرموقة بالرواتب الكبيرة فيعملون ويكدحون وينشغلون في العمل ليل نهار إلى درجة ترك مباهج الحياة وذلك كله بغيةَ تحقيق أمانيهم (Zabidin, 2024).

ومن هنا، يمكننا أن نستخلص أن رواية "حضرة المحترم" التي تعكس حياة "عثمان بيومي"، يَتَجَسَّدُ فيها الموظَّفُ الحكومي الذي يرى عمله على أنه حياته كلها، فيلتفت إليه متجاهلاً كل جوانب حياته الأخرى، لدرجة أنه يهمل عواطفه العميقة انتظاراً لمنصب أعلى وهو "منصب المدير العام". فوصل أخيراً إلى هذا المنصب وهو على فراش الموت تاركا العالم وراءه وعاد خالي الوفاض بدون رفيقة حياة تؤنس وحشته وبدون تأسيس أسرة يأنس بها وتأنس به وبدون أن يعيش حياته ويستمتع بها كما يعيشها كل ذي لب.

المبحث الرابع: تناص رواية "القاهرة الجديدة" مع الأمثال العربية

تزخر رواية "القاهرة الجديدة" بمجموعة من الأمثال الشعبية التي تداخلت بنياتها مع بنيات النص الروائي وشكلت من خلالها رمزية عكستها قصدية الأمثال الشعبية الموظفة داخل النص، نذكرها فيما يلي:

النموذج الأول:

أظهر الأديب نجيب محفوظ اهتماماً كبيراً بالمرأة، وبدا هذا واضحاً في دعوته للنساء للالتحاق بالجامعة ومتابعة التعليم العالي. نرى ذلك عندما دخلت أول خمس فتيات جامعة القاهرة وقد أثار هذا استغرابا لدى الجميع، خاصةً أولئك الطلبة الذين فوجئوا بوجودهن في الجامعة. وورد هذا الحدث في الحوار التالي:

"فقال أحدهم بلهجة تقريرية تنم عن أستاذية ليس وراءها مطمع لعالِم :

- الجامعة عدو لله لا للطبيعة.

- نطقت بالحق. ولا يؤيسَّنكم قبح هؤلاء الفتيات. فهن دفعة أولى للجنس اللطيف وسيتبعهن أخريات. الجامعة موضة حديثة لا تلبث أن تنتشر، **وإن غداً لناظره قريب**" (Mahfouz, 2016).

ففي الحوار السابق يستحضر الأستاذ نجيب محفوظ مثلا عربيا وهو "وإن غداً لناظره قريب" (al-Maidani, 1986) في سياق كلامه عن تعليم المرأة والتحاقها بالجامعة. والمثل يفيد أن ليس الغد الذي تصبح فيه المرأة رفيقة للرجل في طريق العلم بعيدا، فكأن الأستاذ نجيب محفوظ يريد أن يشير إلى أن هناك الكثير من الفتيات ستلحقن بالجامعة في المستقبل القريب.

النموذج الثاني:

تجلّى في النص التالي استدعاء الأستاذ نجيب محفوظ للأمثال العربية في نص الرواية بصورة واضحة، تدعم المعنى الذي يريده.

"وغادر الوزارة واجما متحيرا ما زالت أزمته قائمة. ومجلة النجمة على فرض نجاح مسعاه إليها علاج آجل فما العمل؟ .. وكيف يحصل على النقود؟ .. وكانت الساعة تدور في الثالثة. والجو بارد كما كان في الصباح **فخبط في الطريق على غير هدى**. مثقل الرأس قانطا، وضاقت الدنيا في وجهه، حتى كور قبضته مهددا، وقال حانقا غاضبا بصوت أشبه بالنحيب: «سيدفع العالم ثمن هذه الآلام؟!». وقد أدرك أنه لم يبق إلا علي طه أو مأمون رضوان!.. لكم كره أن يمد لهما يدا، ولكنه لم يعد يملك حيلة، ولابد مما ليس منه بد. ومضى إلى الترام متسائلا: أيهما

يفضل؟! كلاهما شاب نبيل، ولكنه لا يحب "علي"، بينما لا يكـره مأمون، وفضلا عن ذلك فمأمـون رجل دين وورع، فهو حقيق بأن يصون سـره، ويحفظـه بالغيب، جدير بأن يغضي عنه إذا تأخر عن قضـاء دينـه. ومضى إلى دار الطلبة، وقصد إلى حجرة مأمون رضوان، واستقبله الشاب بسرور وسأله:

- لماذا تغيبت اليوم عن الكلية؟

فقال محجوب:

- **مكره أخاك**، لشد ما أعاني من الاضطراب؟

وتفرس مأمون في وجهة بعينيه النجلاوين السوداوين، فهاله ما يرى من الهزال والقنوط، وسأله باهتمام وإشفاق:

- ما بك يا أستاذ محجوب!

فقال دون تردّد:

- ظروف قاسية، فقدت آخر مليم من نقودي، لا أملك من ثمن كتاب اللاتيني مليما واحدا" (Mahfouz, 2016).

نفهم من نص الرواية السابق أن محجوب عبد الدايم كان في ضائقة مالية حيث إن والده طريح الفراش، ولم يستطع أن يعمل كي يرسل له الأموال كالمعتاد. إذن، كان في أشد الحاجة إلى بعض النقود، فاضطر إلى أن يستقرض جاره السابق السيد سالم الإخشيدي لكنه للأسف لم يقدم له ما طلبه وإنما عرض عليه أن يعمل مترجماً في "مجلة النجمة". وهذا جعل محجوب يشعر بالإحباط لأنه محتاج إلى المال على الفور، فعاد بخيبة أمل. لذلك، لم يكن لديه خيار سوى أن يستجير بصاحبه مأمون رضوان ليقترض منه بعض النقود رغم أنه في الواقع يكره ذلك. فلما سأله مأمون رضوان عن سبب غيابه عن المحاضرة أجاب: "**مكره أخاك**، لشد ما أعاني من الاضطراب".

فلاحظنا أن الأستاذ نجيب محفوظ استحضر مثلا عربيا "مُكْرَهٌ أَخُوْكَ لاَ بَطَلٌ" (al-Maidani, 1986) ولعل سبب توظيفه لهذا المثل هنا أن يدل القارئ على عدم رضا محجوب عبد الدائم على استعارة النقود من صاحبه ولكنه مضطر لذلك.

النموذج الثالث:

وأديبنا في قوله في النص السابق "والجو بارد كما كان في الصباح فخبط في الطريق على غير هـدى" كذلك متأثر بالمثل العربي "يَخْبِط خَبْطَ عَشْوَاء" وَهو مِنْ أَمثال العرب السَّائرة، يُضرَبُ مَثَلًا للسَّادِرِ الَّذِي يَرْكَبُ رَأْسَهُ وَلَا يَهْتَمُّ لِعاقِبَتِهِ أو يسير في أموره على غير هدى (al-Maidani, 1986)، فلا يعرف مصيب هو أم مخطئ، وأديبنا هنا بهذا المثل يصف وصفا دقيقا حالة التيه والضيق التي يعيشها محجوب عبد الدايم في هذا الموقف السابق الذي يحتاج فيه إلى المال ولا يعرف ممن يطلب حاجته ولا إلى من يلتجئ.

النموذج الرابع:

يظهر التناص الأدبي مع الأمثال العربية في قول الأستاذ نجيب محفوظ:

"وقد قابل محجوب مديره سـالم الإخشيدي في مكتبه يوما ليسأله عما هنالك؟ ووجده كما عهده دائما هادئا رزينـا. ولكنه لـم يتأثـر بهدوئه ولا برزانتـه؛ لأنه يعلم حـق العلم أنـه لا يخـرج عنهما حتى في أحـرج الأوقات. ورفع إليـه الرجل عينيه المستديرتين متسائلا، فسأله الشاب وقد ظل واقفا:

ما حقيقة هذه الإشاعات التي تتناقلها الألسن؟

فسأله الإخشيدي بصوت لم يفقد أي رنة من رنات الرياسة:

- أي إشاعات؟

- سقوط الوزارة. ماذا وراء الأكمة؟

فابتسم الإخشيدي وقال:

- وراء الأكمة ما وراءها!

- هل حقا يمكن أن يزول هذا العهد؟

فقال الإخشيدي وقد تملكته رغبة عابثة في تعذيبه:

- كل شيء زائل ..." (Mahfouz, 2016)

ويظهر التناص في هذا النص مع المثل العربي المتداوَل في التراث الثقافي العربي وهو "إن وراء الأكمة ما وراءها" (al-Maidani, 1986). فيأتي المثل هنا معززا ومكثفا لدلالة المعاني التي يطرحها الأستاذ نجيب محفوظ .

قابل محجوب عبد الدائم سليم الإخشيدي ليسأله عن مدى صحة شائعات تناقلتها الألسن بخصوص سقوط الوزارة، فالشائعات حقا تزعجه وزوجته بشدة. وجدنا من خلال الحوار أن الإخشيدي حينما سأله محجوب لم يأت بإجابة مقنعة بل اكتفي بذكر مثَل "وراء الأكمة ما وراءها" والمثل يضرب لمن يفشي على نفسه أمرا مستورا. فتوظيف المثل العربي في هذا السياق فيه إشارة إلى محاولة الإخشيدي إخفاء المعلومات التي عرفها منذ البداية.

النموذج الخامس:

يواصل الأستاذ نجيب محفوظ استحضار المثل العربي في قوله:

"فملأه بروده حنقا وغيظا حتى اضطر إلى مداراته بالابتسام وقال:

- سعادتك تعلم أشياء وأشياء بلا ريب.

وأبت عليه نفسه أن يقول إنه لا يعلم شيئا، فابتسم ابتسامة غامضة وقال بثقة:

- انتظر. **إن غداً لناظره قريب**.." (Mahfouz, 2016).

مما سبق يتضح لنا أن نجبب محفوظ يستحضر المثَل العربي المشهور والذائع الصيت المتداول بين العرب وهو "إنَّ غـداً لنـاظِـرِهِ قـريـــبٌ". فتوظيف هذا المثَل في هذا النص أمر يستوجب البحث عنه كي نفهم ما المراد به في سياق النص .

من نص الرواية المعروض آنفا نعرف أن محجوب عبد الدائم غير راضٍ عن إجابة الاخشيدي الذي بدا له مريبًا وكأنه يريد إخفاء شيء ما. يحاول محجوب الإطراء على الإخشيدي قائلا: "سعادتك تعلم أشياء وأشياء بلا ريب". ففي هذه المرة، لم يتمكن الإخشيدي من الهروب من هذا الفخ ولا يستطيع أن ينكر أنه يعرف شيئاً، فابتسم ابتسامة غامضة وقال بثقة: "انتظر. إن غداً لناظره قريب". لاحظنا هنا أن استدعاء نجيب محفوظ للمثَل العربي "إن غدا لناظره قريب" في هذا السياق يأتي إشارةً إلى عدم الاستعجال في الأمر الذي سيأتي لأن انتظار الغد ليس ببعيد على من ينتظره.

النموذج السادس:

ويتناص قول الأستاذ نجيب محفوظ كذلك مع المثل العربي حين يقول:

"وخاطب - بالتلفون - جمهرة من صحبه في الوزارات المختلفة وتلقى الإجابات: ماذا عندك من الأخبار يا فلان؟ - الحالة حرجة، ما آخر الأخبار يا أستاذ؟ قطران، هل من جديد يا فلان؟ - **ضربوا الأعور على عينه**، أسمعت الإشاعات الغريبة يا عزيزي؟ عن الوزارة؟ إلى الجحيم يا سيدي! وهكذا حتى أيقن أن الوزارة في النزع الأخير (Mahfouz, 2016).

فقول أحدهم لمحجوب عبد الدائم "ضربوا الأعور على عينه" يتناص مع المثل الشائع في الأمثال العامية المصرية: "ضربوا الأعور على عينه قال أهي خسرانه" (Basha, 1956). وقد ذكر أحد زملاء محجوب عبد الدائم له هذه العبارة في سياق تلقيه لخبر مغادرة قاسم بك للوزارة. وفي الاستشهاد بهذا المثل في هذا السياق دلالة على أن قائليه في وضع سيء وأنه ليس هناك أسوأ مما هم فيه. فهم، في جميع الأحوال، خاسرون.

المبحث الخامس: تناص رواية "حضرة المحترم" مع الأمثال العربية

النموذج الأول:

تجلى في النص التالي استدعاء الأستاذ نجيب محفوظ للمثَل العربي في نص الرواية بصورة واضحة، وذلك في قوله: "**الوقت كالسيف إن لم تقتله قتلك**. بات خبيراً بقتل الوقت ولكن هل نجا حقا من سيفه؟!" (Mahfouz, 2008).

مما سبق يتضح لنا أن نجبب محفوظ يستحضر المثَل العربي المشهور وذائع الصيت المتداول بين العرب وهو: "الوَقْتُ كَالسَّيْفِ إِنْ لَـمْ تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ" (Şini, 1992). فتوظيف هذا المثل مع تعديل بسيط في نص الرواية أمر يستوجب البحث عنه كي نفهم ما المراد به في سياق النص.

فإذا بحثنا عن ذلك فهمنا من سياق النص أن بطل الرواية عثمان بيومي لا يملك ثروة طائلة ولا يتمتع بامتيازات الأسرة الكريمة ولا قوة حزبية تسنده في سبيل تحقيق هدفه المنشود. فليس له إذن إلا أن يتسلّح بسلاح الوقت حيث يعتمد نجاح خططه بشكل كبير على مهارته وخبرته في إدارة وقته وتنظيمه على نحو صحيح لمصلحته الشخصية. إن تجاهله لأهمية الوقت وإدارته سيؤدي إلى ضياع الفرصة ويبدّد حتما حياته حيث سيذهب عمره هدرا وعمله سُدًى.

وتجدر الإشارة إلى أن الروائي الكبير الأستاذ نجيب محفوظ قد أتى بسؤال مهم للغاية بعد ذكر المثَل العربي في النص مفاده: هل يستطيع عثمان بيومي حقا أن ينجو من خطورة تضييع الوقت؟ لأنه سيواجه حتما خسارة عظيمة إن لم يستغل وقته ويتحين كل فرصة سانحة أمامه.

النموذج الثاني:

ومن النماذج التي اشتملت على تناص مع الأمثال العربية في رواية "حضرة المحترم" قول الأستاذ الأديب نجيب محفوظ:

"وفاضت روح الرجل وهو حزين وضاعفت الأم نشاطها مؤملة أن يجعل الله من ابنها كبيرا من الأكابر، أليس الله بقادر على كل شيء؟! ولولا وفاة الأم بغير توقع لأكمل عثمان تعليمه في المدارس العليا. وقد اشتدت لذلك حسرته، وضاعف من حدتها اكتمال وعيه بطموحه وبأحلامه المقدسة ومقدسة عنده أيضا ذكرى والديه. وكل موسم يزور قبرهما. وهو من قبور الصدقة الضائع بين القبور في العراء. وهو اليوم وحيد، **مقطوع من شجرة**. قتل أخوه الأكبر كان شرطيا في مظاهرة وماتت أخته بالتيفود في مستشفى الحميات. وأخ آخر مات في السجن" (Mahfouz, 2008).

ونلحظ مما تقدّم أن نجيب محفوظ يوظّف المثَل الدارج في العامية "مقطوع من شجرة" (Şini, 1996) في نص الرواية. وقد استأنس نجيب محفوظ بهذا المثَل المشهور من أمثال العامية المصرية في سياق حديثه عن بطل روايته عثمان بيومي الـــ"مقطوع من شجرة" نعم ولم لا يكون كذلك وقد كان رجلا مات أبواه وهما قد كانا كل أهله، فلا سند له بعدهما ولا حام ولا ظهير، ولا أهل له في بلد من البلاد ولا معشر ... ولا أبناء يشتاقون له في غيابه فيعدون الأيام ويسألون متى يعود.

النموذج الثالث:

أضف إلى النماذج السابقة التي اشتملت على تناص مع الأمثال العربية في رواية "حضرة المحترم" قول الأستاذ الأديب نجيب محفوظ:

"فتمزق صوتــها بالجزع وهي تسأله:

- ماذا تريد؟
- أن نكف عن السير في طريق مسدود!
- لا أستطيع

- **لا بد مما ليس منه بد**، فمن الجنون أن نستمر.." (Mahfouz, 2008)

فقوله: "لا بد مما ليس منه بد"، تناص مع مقولة مشهورة هي شطر بيت من الشعر يقول: "لا بدّ ممّا ليس منه بدّ ... اليأس حرّ والرجاء عبد" (Abu 'Umar, 1983).

وقد قال هذه العبارة استئناسا بها في سياق حديثه مع أنسية رمضان، ومحاولة إقناعه لها بأنه لا بد من وضع نهاية لعلاقتهما، وأنها يجب ألا تستمر، وإن كان ذلك هو الجنون فيما تراه هي.

وقد أتت العبارة نفسها "لابد ممـا ليس منه بد" على لسان محجوب عبد الدايم متأثر بشطر بيت من الشعر من قولهم: وهو هنا باستدعائه لهذا المثل على لسان محجوب عبد الدايم يصف لنا وجها آخر من الموقف السابق الذي يحياه محجوب عبد الدايم حين شرع يبحث عمن يستقرضه فوجد نفسه أمام خيار واحد لا ثاني له فقال: محجوب عبد الدايم "لابد ممـا ليس منه بد".

النموذج الرابع:

يضاف إلى ما سبق من النماذج التي اشتملت على تناص مع الأمثال العربية في رواية "حضرة المحترم" قول الأستاذ الأديب نجيب محفوظ:

"ولكن هل وقع جديد لم يكن له به علم؟ كلا. غير أنه **ليس من سمع كمن رأى**" (Mahfouz, 2008). قال هذا في سياق تعليقه عن خبر موت إسماعيل بك فائق مدير الإدارة، فقد سأل عثمان بيومي الوكيل الأول للإدارة وقد كان رجلا معروفا بصلته الحميمية بالراحل قائلا: هل عندك علم عن هذه المصيبة؟ فأجاب الوكيل الأول للإدارة بذهول:

- شرع في تناول الإفطار، ثم شعر بتعب مفاجئ، فقام ليستلقي على ديوان، ولما لحقت به حرمه وجدته جثة هامدة" (Mahfouz, 2008).

هنا، في هذا السياق، بدأ عثمان بيومي يسأل نفسه هل وقع جديد لم يكن له به علم؟ ومعلقا بهذه المقولة: "ليس من رأى كمن سمع" (al-Maidani, 1986) ليعلن أن من عاين الشيء بنفسه ليس كمن سمع، وقد رأى الوكيل الأول للإدارة الأمور بنفسه إذ كان الرجل معروفا بصلته الحميمية بالراحل لذا فهو حري أن يسمع له لا للأخبار التي لا سند لها.

النموذج الخامس:

ومن النماذج التي اشتملت على تناص مع الأمثال العربية في رواية "حضرة المحترم" قول الأستاذ الأديب نجيب محفوظ على لسان عثمان بيومي:

"**قلب المؤمن دليله**، عندي من الإيمان ما يغفر لي كثيرا من الأخطاء، وخدمت الدولة بإخلاص يكفر عن كثير من السيئات، وعندما تستقر الأمور سأقوم بالحج تجديدا لروحي وجسدي" (Mahfouz, 2008).

ويضرب عند صدق الـحَدْس في شيء وهو تناص مع مثل من الأمثال الشعبية المصرية "قلب المؤمن دليله" (Basha, 1956). وقد قاله عثمان بيومي في سياق حديثه عن شعوره بأنه ينتظره مستقبل مشرق مليء بالسعادة مع راضية "سكيرتيرته" التي تزوجها على زوجته الأولى.

خاتمة

بعد عرضنا لهذه النماذج من الأمثال الشعبية الموظَّفة داخل سياق الخطاب الروائي، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

١) للتناص مع الأمثال الشعبية مساحة واسعة في روايتي "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" حيث أظهر نجيب محفوظ مقدرته على حسن التعامل مع ظاهرة التناص في هاتين الروايتين ولا يستحضر الروائي هذه الأمثال للزينة أو الديكور فحسب، وإنما لغرض يراه ضروريا لتعميق فكرته وبلورة رؤيته في قضية ما، أو ما يراه منسجما مع البناء الفني أو الأسلوبي في روايتيه.

٢) يشكّل توظيف الأمثال العربية في روايتي "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" لنجيب محفوظ عنصراً مهماً في البناء الروائي، حيث يسهم في إثراء الجانبين الفني والجمالي للنص.

٣) يُعَدُّ نجيب محفوظ في روايتيه "القاهرة الجديدة" و"حضرة المحترم" من أولئك الروائيين الذين يسعون إلى تفعيل التراث الشعبي من خلال توظيف الأمثال الشعبية، وبالتالي، يقوم بتأسيس علاقة تواصلية بين التراث والواقع الروائي، مما يساعد القارئ على تحليل تناقضات المجتمع.

٤) تعكس الأمثال الشعبية المستخدَمة داخل النصوص الروائية الخلفية الثقافية للشخصيات وتلقي الضوء على وعيهم الثقافي وتقاليدهم، مما يعزّز من عمق الشخصيات ويجسد واقعها الحياتي.

٥) تشير الأمثال إلى مستوى الثقافة والتراث العربي للشخصيات الروائية، وتجسد حياتهم اليومية وتجاربهم، مما يعزّز الواقعية في الروايتين.

REFERENCES

al-ʿAskarī, Abū Hilāl al-Ḥasan ibn ʿAbdallāh. (1988). *Jamharah al-Amthāl*. Beirut: Dar al- Kutub al-'Ilmiah.

'Azzām, M. (2001). *Tajliāt al-Ṭanāṣ fi Syi'r al-'Arabī*. Damascus: Arab Writers Union.

Abed, A.Z. (2022). Investigating Intertextual Elements in Naguib Mahfouz's Novel: Khan al Khalili 1946. *College of Basic Education Researchers Journal*, 18*(1), 1051-1068.*

Abū 'Umar, Shihāb al-Dīn Muḥammad ibn 'Abd Rabbuh ibn Ḥabīb ibn Ḥadīr ibn Sālim. (1983). *'Aqd al-Farīd*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiah.

al-Maidānī, Abū al Faḍl Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm (1986). *Kitāb Majma' al-Amthāl*. Beirut: Maktabah al-Ma'ārif.

Angenot, M. (2013). *Āfāq al-Ṭanāṣiah: al-Mafhūm wa al-Manzūr*. Translation: Muhammad Khair al-Biqā'ī. Beirut: Jadawel.

Bāsha, Aḥmad Taimūr. (1956). *al-Amthāl al-'Āmiah Mashruḥah wa Murattabah 'Ala al-Ḥarf al-Awwal min al-Mathal*. Cairo: Dār al-Kitāb al-'Arabi bi Miṣr.

Beaugrande, R.A.D. (1998). *Al-Naṣ wa al-Khitāb wa al-'Ijrā'*. Translation: Tammām Ḥasan. Cairo: 'Alam al-Kutub.

Dakhia, F. (2022). Investigating Intertextual Elements in Naguib Mahfouz's Novel: Khan al Khalili 1946. *Intertextuality and the Pragmatic Formation in the Novel "Hiding in his Pocket" by Moundjia Ibrahmi*, *9*(2), 169-181.

al-Enany, R. (1990). *Respected Sir*. First Published in Arabic in 1975 as *Ḥaḍrah al-Muḥtaram*. New York: Doubleday & Anchor Books.

al-Ḥaqīl, I. S. (2018). *al-Sariqāt al-Syi'riah wa al-Ṭanāṣ: Nuqāṭ al-Taqātu' wa Masārat al-Tawāzī.* Riyāḍ: al-Majallah al-'Arabiah.

Karim Eldin, Y.A.T.H. (2022). al-Ṭanāṣ fī Riwāyāt 'Abdul Badi' 'Abdullah. *Journal of the Faculty of Arts Port Said University*, *21*(1), 306-328.

Kristeva, J. (1997). *'Ilm al-Naṣ*. Translation: 'Abd al-Jalīl Nāẓīm. Morocco: Les Edition Toubkal.

Lakhdar, H. (2016). *al-Amthāl al-Sya'biah al-Jazāiriah baina al-Taakthur wa al-Takthir* [Doctoral Dissertation, University Mohamed Boudiaf M'sila].

Mahfouz, N. (2008). *Ḥaḍrah al-Muḥtaram*. Cairo: Dār al-Syurūq.

Mahfouz, N. (2016). *al-Qāhira al-Jadīda*. Cairo: Dār al-Syurūq.

al-Maidānī, Abū al Faḍl Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm (1986). *Kitāb Majma' al-Amthāl*. Beirut: Maktabah al-Ma'ārif.

Majma' al-Lughah al-'Arabiah al-Idārah al-'Ammah li al-Mu'jamāt wa Ihyā' al-Turāth. (2004). *Mu'jam al Wasīṭ*. Cairo: Maktabah al Syurūq al-Dauliah

Miftāh, M. (1992). *Taḥlīl al-Khitāb al-Syi'r: Istirātījīah al-Ṭanāṣ*. Beirut: Al- Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī.

Moḥammed, A.S. (2009). *'Ilm Lughah al-Naṣ: al-Naẓariah wa al-Ṭatbiq*. Cairo: Maktabah al-Adab.

Nāhim, Aḥmad (2007). *al-Ṭanās fī Syi'r al-Ruwwād*. Cairo: Dār al-Āfāq al-'Arabiah.

Quṭb, S. (1946, December 30). 'Ala Ḥāmish al-Naqd. *al-Risālah*, (704), 1440-1441.

Ṣinī, M. I. (1992). *Mu'jam al-Amthāl al-'Arabiah*. Beirut: Maktabah Lubnan.

Turābī, A.Q., & Sayyidī, S. H. (2014). Riwāyāt Najīb Maḥfuz fi Dau' al Naqd al Ijtimā'ī Ma'a "Ināyah Khaṣṣah bi Riwāyah Awlād Hāritna. *Majallah 'Iḍāat Naqdiah*, *4*(13).

Zabidin, M.A.R., & Eldesoky, E.M.A. (2023). Quranic Intertextuality in Naguib Mahfouz's Novel: "Ḥaḍrah al-Muhtaram" As an Example. *International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences*, 13(6), 283–290.

Zabidin, M.A.R.. (2024). *Mi'yār al Ṭanāṣ Lada Robert De Beaugrande fī Riwāyatai "al-Qāhirah al-Jadīda" Wa "Ḥaḍrah al-Muḥtaram" li Najīb Maḥfūz*: *Dirāsah Taḥlīliah* [Doctoral Dissertation, Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University (UniSHAMS)].

Zu'bī, A. (2000). *al-Ṭanāṣ: Naẓarian wa al-Ṭatbīqian*. Oman: Oman Publishing and Distribution Foundation.